أيديولوجية تنظيم القاعدة الوهمية

لي هـاريس

أيديولوجية تنظيم القاعدة الوهمية

من الأهمية بمكان دراسة الرؤية التي فكر بها العقل الأمريكي في أحداث تفجيرات ١١ سبتمبر، ونعني بالرؤية التفسير والمغزىٰ من هذه الأحداث، فلا نعني مجرد توصيفهم للحدث و لا تحليله، ولكن نعني كيف حَلَّل خبراؤهم الدوافع التي قام من أجلها المنفذون ـ والجهة التي وراءهم ـ بتلك العمليات، وهذا التفسير الأمريكي له عدة خصائص:

ـ أنه يُعَبِّر عن الثقافة الأمريكية، ومكوناتها وخصائصها، والأسس التي قامت عليها، وهو ما يُعْرَف بالحضارة الأمريكية.

ـ ليس له توجه واحد؛ أي أن هذا التفسير ـ كما نرىٰ بعد قليل ـ متعدد وله مدارس شتىٰ.

ـ أن كل مدرسة في فَهم هذه الأحداث لها ما يمثلها داخل دائرة صناعة القرار الأمريكي.

وقد يسأل سائل: لماذا نحاول تتبع الفَهم الأمريكي لهذا الحدث أو غيره من الأحداث؛ فإن فهمنا للواقع له أصول شرعية ومنطلقات تختلف عن المنهج الأمريكي خاصة والغربيّ بصفة عامة؟

والجواب: هو أن تتبع هذا الفَهم يُفيدنا في دراسة مُنْطَلَقَات الخصم في تعامله معنا، فكل مدرسة من مدارس التفسير الأمريكي لها فريقها داخل دائرة صناعة القرار في المطبخ الأمريكي، وكثير من القرارات يمكن تَوَقُّعُها بِنَاءً علىٰ تتبع هذه المدارس ومعرفة توجهاتها، وهذا يفيد بلا شك في تحصيل أحد أدوات الفَهم الاستراتيجي للصراع الحالي الدائر في العالم؛ بين محاولة فرض الهيمنة علىٰ العالم، وبين من يقاوم تلك النزعة للتفرد والتجبر.

ونجيء لأهم مدارس الفَهم الأمريكيّ لأحداث ١١ سبتمبر:

ونبدأها بمدرسة (جو آشكروفت): المدعي العام (وزير العدل) الأمريكي، حيث قال في يوم ١٥ يناير الماضي بمناسبة الإعلان عن التُّهَم المُوَّجهة للمقاتل الأمريكي في حركة طالبان (جون والكر): «إن الولايات المتحدة لا تتهم عادة أحد مواطنيها بتهمة دعم إرهابيين؛ لكننا مدعوون اليوم لفعل ذلك بناءً علىٰ تداعيات أحداث ١١ سبتمبر، التاريخ الذي ذكَّرنا بأنَّ لدينا أعداءً عبر العالم يسعون إلىٰ تدميرنا».

أما المدرسة الثانية فهي: مدرسة (المخابرات المركزية الأمريكية): حيث يقول (بيل كريستسان) مُحَلل سياسي ومستشار سابق في (سي آي إيه CIA): «إن الهدف الحقيقي للمسلمين المتطرفين الذين يقودهم أسامة ابن لادن هو تخليص العالم الإسلامي من الهيمنة الأمريكية. إنهم لم يسعوا إلىٰ تدمير أمريكا بقدر ما سعوا إلىٰ

إخراجها من أرضهم.

لقد أراد ابن لادن وأتباعه ـ وما زالوا ـ توحيد البلدان الإسلامية وراء تصور حاد للإسلام؛ معتقدين أن العالم الإسلامي سيعيش في ظروف أحسن لو تحكَّم بمصيره بنفسه، إنني أرىٰ أنهم يدركون تماماً أن ليس هناك مجالاً لتحطيم أمريكا، وأن هدفهم مع أنه كبير للغاية أقل من ذلك بكثير». وفي تحليل نُشر في مجلة (رفيو أوف بوكس) التي تصدر في نيويورك ذكرت أن رغبة تنظيم القاعدة تتمثل في إنشاء عالم إسلامي موحد. إنه نداء من أجل تنقية العالم الإسلامي من عبدة الغرب وضرب رمز ضريح المعبد الأمريكي، وإظهار ـ بطريقة استعراضية ـ ثغرة أمريكا علىٰ أنها نمر من ورق.

والمدرسة الثالثة هي: مدرسة المفكر الأمريكي (نعوم تشومسكي) الذي يتفق مع المدرسة الأولىٰ في رغبة المجموعة في تدمير أمريكا، ولكنه وجَّه اللوم والهجوم علىٰ السياسة الأمريكية، وما ترتكبه في حق المسلمين والعرب من مظالم ومفاسد.

أما المدرسة الرابعة: فهي تنتقد جميع المدارس السابقة، وهي المدرسة التي عبر عنها **(لي هاريس)** في مقال بدورية (بوليسي ريفيو) باسم **أيدولوجيَّة الوهم لتنظيم القاعدة**، ويقول:

لقد أصبح عدوك واضحاً جدّاً الآن، ولكن يصعب ملاحظته في إطار الممارسة العملية، وكذا يصعب فَهم السبب الذي يَكْمُن وراء ما يلي: إذا كنتَ عدوي؛ فإنني لن أنحرف عن مساري طويلاً لأرىٰ الأشياء من منظورك الخاص، وإذا كان هذا يصدق علىٰ الحالات التي يدور فيها الصراع بين جماعات ذات ثقافة مشتركة؛ فإلىٰ أي مدىٰ ينطبق هذا عندما يكون هناك تفاوت ثقافي كبير بين المتنافسين؟

ومع هذا، وعلىٰ النقيض من ذلك؛ فإن هذا الإخفاق في فهم العدو يمكن أن يتأتَّىٰ ليس فقط من نقص التعاطف مع موقفه، ولكن أيضاً من نوع من الشفقة في غير موضعها.

فموقفنا الأساسي في ذلك هو أن نفهم مثل هذا السلوك بِلُغة مفهومة لدينا ـ لغة يمكن أن تستوعبها في ضوء محصلة خبراتنا، فنحن نفترض أن عدونا إذا فعل شيئاً ما؛ فإنه لا بد أن يكون ذلك لأسباب مفهومة في إطار عالمنا الخاص بنا.

ويمكن تصوير هذا الموقف لسوء الحظ، بل يعدُّ في الواقع أمراً مدمراً مقارنة بما حدث أثناء الغزو الإسباني للمكسيك، عندما علم (مونتيزوما) بقدوم (كورتيس)، فقد كان في حَيْرَة من أمره ليدرك ما يجب عليه فعله في هذا الموقف، فماذا كانت تلك الكائنات الغريبة ذات البشرة البيضاء؟ فلماذا قدموا؟ وماذا كانت نياتهم؟

فقد كان واضحاً أن (مونتيزوما) في موقف لا يستطيع أن يجيب عن هذه التساؤلات، فليس في عالمه ما يمكن أن يُتِيح له المقدرة علىٰ الوصول إلىٰ مفتاح هذه الإجابة، وكشف حقيقة دوافع إنسان ماكر واسع الحيلة وقوي

الإرادة مثل (كورتيس).

وهذا يعني أن (مونتيزوما)، والذي يجب عليه بعد كل ذلك أن يقوم بفعل شيء ما؛ كان مجبراً على تطبيق مبادئ مستقاة من محصلة خبراته التي كانت متوفرة للشعب (الأزتكي) شعب متمدن حكم المكسيك قبل أن يفتحها الإسبان عام ١٥١٩م.

وللمصادفة التعسة؛ فقد كان مخزون خبراتهم يحمل صورة مسبقة شبيهة بصورة الـ (كورتيس) أسطورة الإله ذي البشرة البيضاء، كوتيزا الكولت، فهو لم يظهر على شواطئ المكسيك من أجل أن يمنحهم البركات.

ويجب ألا تكون نظرتنا إلى (مونتيزوما) قاسية، فقد تصرف مِثْلَما نتصرف جميعاً في ظل الظروف المشابهة، فلدينا الرغبة دائماً في أن نَفْهَم ما يدور حولنا في عالمنا بسرعة وإلحاح يفوقان ما قد يبدو في عالمنا من غرابة مفاجئة، ولكي نفهم مثل هذه الغرابة يجب علينا أن نكون قادرين على اختزالها إلى شيء ما مألوف لدينا، شيء نعرفه بالفعل، وندرك طريقنا حوله.

وعلى الرغم من أن هذه الاستجابة إنسانية تماماً، وهي ما ندم عليها (مونتيزوما)، فقد تكون في بعض الأوقات خطرة جداً.

أحداث حرب:

واجه الأمريكيون في ١١/ ٩/ ٢٠٠١م، بلغز مشابه لذلك الذي واجهه (الأزتيكيين)، اللغز الذي يثير مجموعة من الأسئلة الأساسية المحيرة حول مسمى هذا الحدث، والذي يبحث عن سؤال مؤداه: ما هي الكلمات أو الجمل التي ينبغي أن نستخدمها حينما نشير إلى أحداث ذلك اليوم؟ هل كانت كارثة؟ أو ربما مأساة «تراجيديا»؟ هل كانت عملاً إجراميّاً؟ هل كانت أحداث حرب؟ وفي الحقيقة فقد قام أحد مقدمي البرامج التليفزيونية، في محاولة منه للوصول إلى المعالجة الصحيحة للموقف، بوصفها بأنها كانت حادثة، ولكن ونتيجة لذلك؛ فإن المنطق الجمعي واللاوعي الذي يحيط بهذه القضايا قد استمر وعجزت الكلمات، لذا فقد ذهبت وتبددت، وكل ما تخلف هنالك، فوق هذا الحطام من ذكريات هذه الأحداث؛ هي الأرقام اللاذعة لأحداث ١١ سبتمبر.

وكل هذا لم يقدم إجابة عن هذا لسؤال المهم: ماذا يعني كل هذا؟ ففي الأيام الأولى كان هناك الكثيرون الذين يقتنعون بأنهم يعرفون الإجابة عن هذا السؤال.

فبعضهم كان يرى أننا نحصد ما زرعناه من قبل، فما كانت هذه الأحداث إلا مكافآت صغيرة على رفض بوش التوقيع على معاهدة كيوتو، أو هي النتيجة المتوقعة لقرار الولايات المتحدة لمقاطعة مؤتمر «دوربان»، للتمييز العنصري. فيما كان بعض آخر يرى، وربما بقدر أكبر من المصداقية إلى حد ما، أن تفسير ما حدث في

١١ سبتمبر، ينبغي أن يتم البحث عنه من خلال (الاستعارة البستانية الثابتة)، وهي: السبب الجذري للإرهاب، فبالقضاء على الفقر، والإمبريالية الاقتصادية، والدفء الدولي؛ سوف تتوقف مثل هذه الأعمال الإرهابية.

وهناك من يعارض هذا النوع من التحليل، وينظرون إلى أحداث ١١ سبتمبر على أنه حدث مُحرِّض للحرب، والمقارنة القياسيَّة هنا مع ما حدث من اليابان في هجومها على بيرل هاربر في ٧/ ١٢/ ١٩٤١م.

فبالنسبة إلى هذه المدرسة في التفكير، والتي قد تكون مُمَثَّلَة في المفكر الكلاسيكي المميز (فيكتور ديفينر هانسون) وآخرون، ولا يعنيها ما قد يعتقده عدوُّنا من مظالم قد اقترفناها ضده، فما يهمنا فقط هو أننا قد تعرضنا لهجوم آثم لذلك، ومن أجل نضالنا لكي نبقى يجب علينا أن نرد على الهجوم.

وهؤلاء الذين يعتنقون جهة النظر هذه يملكون الغالبية من الأمريكيين، على أن هناك نقطة اتفاق بين هذا الموقف، وموقف مجموعة أخرى مثل (نعوم تشومسكي) الذي وجه اللوم والهجوم على السياسة الأمريكية، فكلا الموقفين يتفقان على أن أحداث ١١ سبتمبر هي أحداث حرب، ويختلفان فقط فيما إذا كان هناك ما يسوِّغ هذه الأحداث أم لا.

ويتبع هذا التفسير الشائع باعتبار أحداث ١١ سبتمبر أحداث حرب، من افتراض أعمق وثابت لا يتزعزع: الافتراض الذي تبناه كل من تشومسكي وأتباعه من ناحية، وهانسون والمراجعة الوطنية من ناحية أخرى، وفي الواقع من قبل الجميع بين هذين الموقفين.

هذا الافتراض هو أن حدثاً مُخَرِباً بضخامة ما حدث في ١١ سبتمبر يمكن أن يكون قد حدث فقط لتحقيق هدف سياسي أبعد؛ فماذا عساه قد يكون هذا الهدف؟ هل يستحق ما حدث؟ هذه كلها اعتبارات ثانوية، ولكن المؤكد أن الناس لا يقومون بارتكاب مثل هذه الأفعال إلا إذا كانوا يحاولون الوصول إلى غرض سياسي معروف إلى حد ما.

ووراء هذا الاعتقاد المشترك؛ نلاحظ صورة (كلاوس واتز) وتعريفه الشهير للحرب على أنها سياسات يتم تنفيذها بوسائل أخرى، فوجهة النظر هذه تنظر إلى الحرب من خلال منظورها الخاص، على أنها تهدف لجعل أُنَاس آخرين يفعلون ما نريدهم أن يفعلوه، محض جهود تهدف لإجبار الآخرين على تبني سياساتنا أو أن يقوموا بأغراض أخرى لنا.

فالحرب الكلاوسواتزية (نسبة إلى كلاوس واتز) باختصار حرب عقلانيَّة وذات هدف محدد، فهي محاولة لخلق حالة معينة من الأوضاع من خلال مزيج من العنف والوعود بوقف العنف؛ إذا تم الوصول إلى أهداف سياسية معينة.

وبالطبع؛ فإن هذا لا يعني أن الحرب قد تُؤَدِّي إلى عكس النتائج التي أرادتها الدول التي قامت بها، أو أن التطبيق العملي للقوة العسكرية قد يتعارض مع الهدف السياسي العملي.

ولكن ذلك لا يُغَيِّر أن المعيار الأخير للنجاح العسكري هو معيار نفعي؛ هل حققت أهدافها؟ هل جعلتنا أقرب لإدراك أهدافنا السياسية؟

ولكن هل هذا هو النموذج الأمثل الذي نفهم من خلاله أحداث ١١ سبتمبر؟ أم أننا مثل (مونتيزوما) قد فرضنا قوالبنا الجامدة وغير الكافية في الفَهم على حدث لا يتناسب بسهولة مع هذه القوالب؟ ومع هذا؛ وإذا لم تكن أحداث ١١ سبتمبر عملاً من أعمال الحرب؛ فماذا كانت إذن؟

وسوف أحاول فيما يأتي أن أقوم بملاحقة مسار معني يتم اقتراحه من خلال تعليق للملحن (كارلهينز ستوكهاوس) بخصوص ١١ سبتمبر، وكان أهم ما ورد في تعليقه: أنها كانت أعظم عمل فني في جميع العصور.

وعلى الرغم من مبدأ (اللاشيئية) الذي يحمله (أسباب الحكم الجمالي الغولي) لـ «ستوك هانسون» فإنه يتضمن فكراً مهماً، ويقترب من وضع تقدير حقيقي لأحداث ١١ سبتمبر أبعد من التفسير التنافسي لحرب «كلاوس واتز».

فقد قدَّم «ستوك هاوس» حقيقة مهمة كبرى، وهي: أن أحداث ١١ سبتمبر كانت ضرباً من الخيال، ولكنه ليس خيالاً فنّياً، بل ـ وبالتأكيد ـ خيالاً زائفاً.

تداعيات شخصية:

وكانت مواجهتي الأولى مع هذا النوع من الخيال عندما كنت في الجامعة في أواخر الستينيات، حين دخلت مع صديق لي في جدل محتدم، فعلى الرغم من أن اتفاقنا في معارضة الحرب الفيتنامية، فإننا اختلفنا بشكل كبير حول الوسائل المشروعة للاحتجاج على الحرب، فبالنسبة لي كان الأمر سهلاً، وهو توجيه أذهان الناس لمعارضة الحرب، وأي شيء يخالف هذا يعدُّ من الناحية السياسية أمراً غير مسؤول، وينبغي أن نوجه اللوم إليه، ولكن صديقي، وعلى النقيض من موقفي في الحقيقة، كان يخطط للقيام بمظاهرة ضخمة لمعارضة الحرب في واشنطن، وهو ما حدث بالفعل.

وصديقي لم يختلف معي في الآثار السلبية المحتملة، ولكنه ناقشني في أن ذلك أمر عديم الأهمية، وكانت إجابته حتى إن كانت هذه المظاهرة قد تأتي بعكس أهدافها، وحتى لو جعلت الناس يتحولون ضد معارضي هذه الحرب، حتى لو زادت من احتمال أن يدعموا استمرار الحرب؛ فإنه سوف يظل مشاركاً في المظاهرة، وأنه سوف يفعل ذلك لسبب هيّن جدّاً؛ لأن ذلك كان على حد تعبيره ممتعاً له من الناحية الروحية.

فما كنت أراه من تصرف سياسي لم يكن بالنسبة إلىٰ صديقي ذا أهمية، فهو لم يكن يهدف لتحويل أذهان الناس أو إقناعهم بأن يتصرفوا بطريقة مختلفة، فأهمية الموضوع كانت تتلخص فيما يقدمه له.

وما يقدمه له هو الخيال؛ الخيال الذي يتحدد في النضال الثوري للمقهورين ضد قاهر لهم.

فقد كان من خلال مشاركته في مظاهرة عنيفة ضد الحرب، وهو بلا أي معنىٰ يهدف إلىٰ إجبار التطابق مع وجهة نظره، ولهذا فإنه لا يزال هدفاً سياسيّاً، وبدلاً من ذلك حدد موقفه لكي يطابق وهمه الأيديولوجي؛ بأن يكون مجاوراً للموقف الصحيح من التاريخ؛ بشعوره أنه وسط (للقلة المنتقاة) الذين يقفون في مصاف الملائكة في الحتمية التاريخية.

لذا؛ فهو عندما يقف في مقدمة المتظاهرين ليس لديه أي اهتمام بتغيير عقول هؤلاء المارة، ولا يعنيه أكانوا راضين عن المتظاهرين أم لا، فهم لا يمثلون سوىٰ مجموعة من الكومبارس الزائدين في مسرحيته النفسيّة، فالاحتجاج لا يعني السياسة بالنسبة إليه ولكنه المسرح، ومدلول دوره وقيمته لا تمثله الأهداف السياسية التي قد يحققها، ولكنه يتجسد في القيمة الرمزيَّة لهذا الدور كطقس باختصار، فقد كان يقوم بتمثيل وهم في خياله.

فهي لم تكن واحتك الوهمية التي تموج بالأحلام والخيالات التي تتمناها كالموديل الرياضي الجنسي الذي تتمناه، أو قائد سيارة سباق كما تود أن تكون، ولكنه في هذه القصة قد جعل من نفسه بطلاً، بطل النضال الثوري.

وقد كان حلمه هذا يتكون من ـ وكذلك كانت أحلام العديد من المثقفين الصغار في ذلك الوقت ـ مقومات ومكونات أيديولوجية، ومتفرقات من (ماركس وماو)، وعلم صغير، وربما طبق لهربرت ماركيوز.

ولكي نصل إلىٰ مصطلح أفضل؛ دعوني أطلق علىٰ هذه المظاهرة في تلك القضية: (أيديولوجية الوهم)، والتي أعني بها الرموز والشعارات السياسية والأيديولوجية التي لا تستخدم في أهداف سياسية، ولكن ـ وبشكل كلي ـ في أبعد من ذلك؛ في أوهام شخصية وجماعية محددة. فهي ـ لكي نتوخىٰ الصراحة التامة ـ شبيهة إلىٰ حد ما بـ «الدنجوانز والتنين»، حيث يتم تنفيذها ليس بواسطة (المصايد) في قصص العصور الوسطىٰ، حيث القلاع العتيقة والعذارىٰ في ورطة، ولكن تستخدم كلية في شعارات ورموز أيديولوجية.

والفرق بين الاثنتين هو أن إحداهما تهدف للهو البريء، بينما تثبت الأخرىٰ أنها تحمل أشد السياط ضراوة لتنهش بها جسد جنسنا البشري، ولكن قبل أن نتناول هذا الموضوع بشكل وافٍ دعونا نقترب منه من خلال ملاحظات يسيرة حول الدور الطبيعي للخيال في السلوك البشري.

طبيعة أيديولوجية الخيال:

إن هناك ضعفاً بشريّاً مشتركاً بيننا في أننا نتمنىٰ أن نقدم أكثر مما نساهم به في العالم، وهو أكثر مما يستعد

العالم حولنا ليأخذه منا؛ لذا فإن عالم الخيال هو الذي يسد هذه الفجوة داخلنا، ولكن من الطبيعي أن يبقى هذا العالم بالنسبة إلى معظمنا مختفياً داخلنا إلى حد ما، وفي الحقيقة؛ فإن أحد المعايير الشائعة في قياس صحتنا النفسية هو المدى الذي نستطيع أن نخضع خيالاتنا لتحكمنا ومراقبتنا بشكل حازم.

ومع ذلك؛ فمن الواضح أن هناك أشخاصاً يكون هذا التحكم عندهم في أحسن الحالات متقطعاً؛ مما يتسبب في القيام بتصرفات غريبة، من التصرفات الشاذة الكريهة إلى التصرفات المُرْضِية نفسيّاً وإكلينيكيّاً، فالشخص الذي يُصر على أن يلفت الانتباه إليه بِجِدِيَّة أكبر من قدر المميزات التي يتميز به؛ يندرج تحت الفئة السابقة، والمعتوه الذي يقتل شخصاً غريباً لأن الله [بزعمه]، أو كلب جاره أمره أن يفعل ذلك؛ ينتمي إلى الفئة الثانية.

والشيء المشترك بين كل منهم هو وجود ذلك الواهم الذي يعامل الآخرين حتماً على أنهم كومبارس؛ دون الالتفات أو حتى الوعي بالآخرين على أنهم لديهم إراداتهم وعقولهم الخاصة بهم.

فالشخص الذي نضيق بقصصه التي يريد أن يُعَرِّفنا بها مدى أهميته أو ذكائه أو حتى رصيده في البنك لا يهتم بنا كأفراد؛ لأنه قد وضعنا بالفعل في الدور الذي يريد منا أن نلعبه، إننا نقف هنالك حتى نتأثر به.

وفي الواقع؛ فإن ذلك يعدُّ خطأ حتى إذا افترضنا أنه يحاول التأثير فينا؛ لأن ذلك يفترض أنه من الواجب عليه أن يعرفنا جيداً ليكتشف أفضل الطرق للتأثير فينا، ولكن شيئاً لم يحدث من هذا القبيل.

ولماذا يجب عليه أن يقوم بذلك؛ فهذا الواهم قد قام بتوزيع الأدوار التي نقوم بها في هذه الفنتازيا (الوهم) التي صنعها؛ بغض النظر عما عشنا نفكر فيه حول إلقائه للأدوار علينا، فلم يخطر بباله أبداً أننا قد نخفق في أداء الدور المسند إلينا.

ومن المدهش حقاً أن نرى مدى الجهد المطلوب مِنَّا لكي نُعِيد النقص العميق في الاهتمام بنا إلى ذهن هذا الواهم.

وللمراقب من الخارج؛ يبدو بوضوح أن الواهم يحاول أن يعوِّض بوسائل وهمه مظاهر النقص الموجودة في حقيقة واقعه؛ لذا فإن هذا يدفعنا للنظر إلى الواهم على أنه شبيه بـ «دنكيخوته» (بطل رواية شهيرة يحارب بطلها طواحين الهواء) الذي يطاعن طواحين الهواء، ولكن هذا وهم إلى حد ما، فمِنَ المعلوم تماماً أن الشخص الواهم عادة ما يمارس قدراً كبيراً من القوة الخارقة بواسطة (الفنتازيا) الوهم الخاص به بشكل محدد، فالأب الذي يطالب ابنه بأن يشب ويصبح لاعباً محترفاً لكرة القدم؛ سوف يمارس بشكل واضح قدراً أكبر من التحكم في حياة ابنه؛ من ذلك الأب الذي يسره أن يسمح لابنه أن يقوم بنفسه بتحديد أهداف حياته.

ويمكن إرجاع القوة التي يتمتع بها (الواهم) تماماً إلى حقيقة أن الآخر دائماً بالنسبة إليه مفعولاً به وليس

فاعلاً، فالفاعل قبل كل شيء له إرادته الخاصة، ورغباته الخاصة، وبرامجه الخاصة، يمكن أن يقوم بالعزف على (الفلوت)؛ بدلاً من لعب كرة القدم، وأي شخص يعي هذه الحقيقة سوف يتضمن موقفه نقصاً إذا ما قورن بموقف الشخص الواهم، هذا النقص يتمثل في إدراك أن الآخرين لهم عقولهم المستقلة، وليسوا مجرد (كومبارس) يتم تحريكهم كيفما نشاء.

وفي اللحظة التي أتوقف فيها عن التفكير فيك كـ «كومبارس» في (الفنتازيا) الوهم التي خلقتها بنفسي تصبح مشكلة بالنسبة إليّ، فأنت لم تكن كما أردت لك أن تكون؛ فمن تكون إذن؟ وماذا تريد؟ وحتى أجيب عن هذه الأسئلة أجد أنه لزاماً عليَّ أن أترك عالم (الفنتازيا) وأنزل إلى عالم الواقع، فإذا كنت أباك؛ فإنني ربما ما زلت أتمنى أن تلعب كرة القدم، ولكني لا أستطيع أن أستمر متجهاً بافتراض أن هذا هو ما تمنيته أنت دوماً وبشكل واضح؛ لذا فإنني مطالب بأن أبدأ في توجيه الانتباه إليك كآخر حقيقي ولم تعد كومبارساً، مُصَنَّعاً وجاهزاً، وسيتغير دورك من مولود كلاعب كرة قدم؛ إلى شيء ما غير محدد.

وإنه لَيَحار العقل الراجح، ويذهب بعيداً في تفسير ذلك، وكيف أنه من المستحيل ـ عادة ـ وبشكل مأساويّ أن تفطم الواهم وترده عن وهمه؛ حتى إن كان يعايش أكثر الأوهام تدميراً.

ومن حسن الحظ؛ فإن الشخص الواهم من الطبيعي أن يكون محاطاً بأفراد آخرين لا يتوهمون مثله، أو على الأقل لا يتوهمون بالطريقة نفسها، وهذا يضع حداً للمدى الذي نسمح به أن يدخل عالم (الفنتازيا) الذي نصنعه في عالم الواقع.

ولكن ماذا يحدث إذا كان مَنْ صنع (الفنتازيا) أو الواهم ليس شخصاً واحداً، بل مجموعة بأسرها، فصيلة أو شعب، أو حتى أمة.

وبإلقاء نظرة سريعة على التاريخ؛ نجد أن مثل هذا الشيء قد يحدث بالفعل.

فالحركات الألفية التي تعتنق (العقيدة الألفية) التي تقول بـ (العصر الألفي) الذي سيملك فيه المسيح على الأرض نصرانية؛ مثل هؤلاء الذين درسوا (تتبع الألفية) (لنورمان كوهين) (هاربر ورو ١٩٦١م) يعدّون نماذج واضحة للفنتازيا الجماعيَّة، ولا شك أن معظم (الفنتازيا الجماعية) واسعة النطاق قد ظهرت على مسرح التاريخ تحت ستار الدين.

ولكن ذلك قد تغير مع قدوم الثورة الفرنسية، فمنذ ذلك الوقت أصبح هناك نوع جديد من (الفنتازيا الجماعية)، والتي تحل فيه الأيديولوجيا السياسية محل الميثولوجيا (الأسطورة الدينية)؛ كمصدر لرموز وطقوس (الفنتازيا).

فهي من خلال هذه الطريقة تقدم متنفساً جديداً وخطيراً إلى حد كبير لـ (الفنتازيا) التي تحتاج إلى جماعات

كبيرة من الرجال والنساء، أيديولوجية الفنتازيا ذات الإمكانيات الكبيرة.

ومثل هذه (الفنتازيا) لا تعني شيئاً خارج نطاق مجموعة المفهومات الأيديولوجية التي تكونت منها هذه (الفنتازيا)، فمن خلال هذه الأيديولوجية يتم توزيع الأدوار والأوضاع؛ مثلما كان الوضع مع المتتبعين الأُوَل كمذهب الألفية، حيث تنبع الأدوار الخاصة بكل فرد وأدوار الكومبارس من مجموعة المفهومات الإنجيلية لهذه الرمزية.

بيد أن الرموز بمفردها لا يمكن أن تخلق (فنتازيا) فلا بد أن توجد مسبقاً حاجة جماعية مسبقة لهذه (الفنتازيا)، وتتمخض هذه الحاجة عن الصراع بين مجموع المطامع والأحلام، والرغبات من ناحية، والواقع المرير من ناحية أخرىٰ، الصراع الذي يتحول فيه نقص الواقعية تدريجيّاً إلىٰ نهم للفنتازيا، والتاريخ حافل بالجماعات الذين تنقصهم القدرة علىٰ رؤية أنفسهم كما يراهم الآخرون، وهم يختلفون في ذلك عن طبيعة الكثير من الناس.

وتستغل أيديولوجية الفنتازيا الفرصة السانحة التي تنشأ عن نقص الواقعية وتبلورها في إطار جماعة سياسية وتُحْسِن الاستفادة منها بأقصىٰ قدر ممكن، ويمكن القيام بذلك من خلال الرموز والطقوس، فجميعها يتم وضعها لكي تسمح لأعضاء الجماعة السياسية بالاستغراق في فنتازيا القيام بأدوارهم.

ومن السهل أن نعثر علىٰ رموز كلاسيكية لذلك مثل: فنتازيا اليعاقبة (جماعة سياسية متطرفة عُرفت بنشاطها الإرهابي خلال الثورة الفرنسية) لإحياء الجمهورية الرومانية، وفنتازيا موسوليني لإحياء الإمبراطورية الرومانية، وفنتازيا هتلر لإحياء الوثنية الألمانية في رايخ الألف عام.

وهذه الفكرة التي تدور حول إحياء المجد التليد (القديم) تُعد مُدْخلاً مهماً لفَهم أيديولوجيات الفنتازيا؛ إذ تشير إلىٰ أن أيديولوجيات الفنتازيا تميل ناحية النطاق الخاص بتلك الجماعات التي تجاهلها التاريخ أو رفضها، تلك الجماعات التي تُشْعِر أنها تتعرض للتهديد من القوىٰ التي ربما تفوقهم في قوتها، إلا أنها عديمة القيمة مع ذلك من ناحية الفضيلة الحقيقية.

وقد كانت مثل هذه (الفنتازيا) موجودة في الجنوب الأمريكي قبل الحرب الأهلية، وتوضح الكثير من الأعمال التي قامت بها الولايات الإحدىٰ عشرة التي انفصلت عن الولايات المتحدة الأمريكية، فبدلاً من أن ينظروا لأنفسهم كمجموعة من الفوضويين الذين يحاولون مد وجود الدستور غير الناجح؛ اختار الجنوبيون أن يدركوا أنفسهم علىٰ أنهم يمثلون الحضارة الحقيقية.

ولقد شهدت ألمانيا الإمبريالية مثل هذه (الفنتازيا) قبل الحرب العظمىٰ أو أثناءها، وقد تم التعبير عنهم جيداً في ملاحظات (توماس مان) الواردة في رجل غير سياسي، إن الألمان يملكون جوهراً وثقافة حقيقية؛ بخلاف الفرنسيين والإنجليز، فضلاً عن الأمريكيين البربر، ففي الحقيقة يتعذر علينا فهم أيديولوجية هتلر الفنتازية

المسرفة التي سبقتها ومهدت لها.

وبمراجعة هذه الأيديولوجيات الفنتازية، وخصوصاً تلك التي تتعلق بالنازية والفاشية الإيطاليَّة، يجد المراقب لهم نفسه مدفوعاً لاعتبار نشر أفكارهم على أنه تلاعب ساخر من قائد متعطش للسلطة بأتباعه السُّذج، على أن ذلك خطأ فادحاً؛ إذ يجب أن يكون القائد نفسه منغمساً في فنتازيته تماماً مثل أتباعه؛ إذ يمكنه فقط أن يجعل الآخرين يعتقدون؛ لأنه هو نفسه يعتقد في هذه الأفكار بقوة.

ولكن مفهوم الاعتقاد كما هو مستخدم في هذا السياق، يجب أن يفهم جيداً لتجنب الغموض، فالاعتقاد بالنسبة إلينا: هو استجابة سلبيَّة تماماً لدليل مقدم إلينا؛ فإنني أُكَوِّن مفهوماتي عن العالم بهدف فَهْم العالم كما هو، ولكن ذلك يختلف بشكل جذري عما يمكن تسميته بـ«الاعتقاد التحويلي» سر أيديولوجية (الفنتازيا)؛ لأن الاعتقاد هنا ليس سلبيّاً، ولكنه إيجابي بشكل مُكَثَّف، وهدفه ليس وصف العالم ولكن تغييره، إنه شكل لا تُعَدُّ فيه صناعة الاعتقاد هدفاً في ذاته، ولكن على الأخرى؛ فإن وسائل صناعة الاعتقاد تصبح حقيقية، وهي بهذا المعنى قريب من الظاهرة البريئة بشكل ساذج ـ قوة الاعتقاد الإيجابي ـ، أو حتى بالمحرك البسيط الذي يعتقد أن بمقدوره ذلك.

فإننا حين نقول ـ على سبيل المثال ـ: إن موسوليني كان يعتقد أن إيطاليا الفاشية سوف تقوم بتجديد الإمبراطورية الرومانية؛ فإن ذلك لا يعني أنه قام بفحص دقيق للدليل على ذلك، ثم وصل إلى هذه النتيجة، ولكن على الأرجح؛ فإن ما يعنيه ذلك هو أن موسوليني كانت لديه إرادة الاعتقاد بأن إيطاليا الفاشية سوف تجدد الإمبراطورية الرومانية.

ولم تكن الإشارة التي أوردها «ويليام جيمس» في مقاله الشهير «إرادة الاعتقاد» مصادفة، حيث كان لويليام جيمس أثر كبير في اثنين من المفكرين، واللذين يُعدّان أساسيين لفهم كل من الفاشية الإيطالية على وجه الخصوص وأيديولوجية الفنتازيا بوجه عام، وهم «فيلفريدو بارينو» و «جورجس سوريل». فقد بدأ المفكرون الثلاثة بالافتراض نفسه، إذا كان البشر محدودين في تصرفاتهم بتلك المفهومات التي يمكن البرهنة عليها منطقيّاً وعلميّاً؛ فإنه حينئذ لا يستطيعون البقاء؛ لأن هذه الدرجة من اليقين محدودة فقط بالرياضيات لا بالعلوم الجامدة، وهذه العلوم غير كافية بمفردها أن تقودنا في عالمنا كما هو موجود؛ لذلك يجب أن يكون لدى البشر مجموعة من المعتقدات التي لا يمكن إثباتها منطقيّاً وعلميّاً، والتي تُعَدُّ غير منطقية بحكم العلوم الجامدة.

وعلى الرغم من أن هذه المفهومات لا يمكن إثباتها علميّاً؛ فإن ذلك لا يعني أنها ليست مفيدة أو نافعة للفرد أو للمجتمع الذي يعتنقها.

فبالنسبة إلى جيمس؛ فإن ذلك يعني بشكل أَوْلَى المعتقدات الدينية للأفراد؛ هل تحسّن معتقدات الفرد الدينية من نوعيَّة حياته الشخصية؟

وبالنسبة إلى «باريتو» مع ذلك؛ فإن الجدل نفسه قد توسع ليشمل جميع المعتقدات الدينية والثقافية والسياسية.

فلقد تعامل كل من جيمس وبارتيو مع المفهوم غير العقلاني من منظور المراقب الخارجي، فهم يتناولون المفهومات والمعتقدات التي يجدونها سائدة بالفعل في مجتمعاتهم التي يعيشون فيها، ويقومون بدراستها في ضوء ما إذا كانت هذه المفهومات نافعة أو ضارة للأفراد أو المجتمعات التي تتبناها، كعالم النبات الذي يقوم بدراسة الزهور في إقليم معين، فهو غير مَعْنيّ بإنتاج زهور جديدة، ولكنه ـ بسهولة ـ يقوم بحصر الأنواع الموجودة بالفعل؛ لذا فإن جيمس وبارتيو كانا يقصران اهتمامهما بالمفهومات الموجودة فعلاً، وليس لإنتاج مفهومات جديدة.

على أن ذلك لم يكن كافياً بالنسبة لـ «سوريل»، فمن خلال المزج بين نيتشه، ويليام جيمس اكتشف «سوريل» سر إرادة القوة عند نيتشه وإرادة الاعتقاد عند جيمس، فقد وضّح جيمس، مثل بارتيو، أن أفكاراً معينة تحدث تلقائيّاً تجعل أصحابها الذين تأتيهم هذه الأفكار قادرين على أن يحققوا الازدهار والرخاء، سواء كانوا أفراداً أو مجتمعات، ولكن ذلك كان صحيحاً بالنسبة إلى الأفكار التي تحدث تلقائيّاً؛ فهل ينطبق أيضاً على المفهومات التي تُوضَع قصداً وعن وعي تام؟

ويُعَدُّ هذا تجديداً راديكالياً، لمجرد أن المفهومات الموجودة بشكل طبيعي يمكن أن نحكم عليها جيداً من ناحية المكاسب التي تجلبها مثل هذه المفهومات لأصحابها الذين يؤمنون بها، ويمكن أن يتم تطبيق المعيار نفسه على المفهومات التي توضع عن عمد، لتحقيق أثر مرغوب فيه على أولئك الذين جاؤوا لكي يؤمنوا بها.

والشيء الذي سيكون مهماً بخصوص هذه المعتقدات غير المقومة من الناحية الوضعية، والتي يسميها «سوريل» أساطير، هو التأثير التحويلي لمثل هذه الأساطير في الذين يعتقدونها، ومدى ما سوف تحدثه مثل صناعة الاعتقاد الأيديولوجي هذه في شخصيَّة الذين يؤمنون بها وسلوكهم، وبالتأكيد ما لم يكونوا على صواب.

و«سوريل» المرشح لهذه الأسطورة ـ الضربة العامة ـ لم يقل بذلك تحديداً، ولكن فكره الضمني قد أخذه «موسوليني» والفاشية الإيطالية بقدر أكبر ـ إلى حد فائق ـ من الحساسية التي تتضمنها مثل هذه الأساطير المختلفة والتحويلية في عقول أعداد كبيرة من الرجال والنساء.

وقد بات من الواضح أنه ليس بمقدور أي اعتقاد أن يقوم بهذا أو ذاك، بل أكثر من ذلك وأبعد، فتقوم كل مجموعة محددة من الناس باتخاذ ترتيب معين له أساس تاريخي، وحسب طبيعة الشخصية، لتصنع سلسلة واحدة من المفهومات التي تناسبها أكثر مما عداها.

فقد قام «موسوليني» بتشكيل أسطورته السوريلية (نسبة إلى المفكر «سوريل») من خلال العناصر الموضوعة

بشكل واضح؛ ليتميز خيال المكان والزمان الخاص به، في نزعة شاذة للأهداف الرومانية الاستعمارية والمشاهد المستقبلية.

وحتى الأسطورة التي توضع ببراعة فائقة تتطلب شيئاً أكثر من ذلك لكي تتعمق وتتأصل في خيال الجماهير العريضة، وهذا هو ما حدث عندما اختلق «موسوليني» أسطورته العظيمة حتى تحقق أسطورة «سوريل» هدفها المنشود؛ ينبغي أن تقدم بأسلوب مسرحي.

إذ يجب أن تجتذب المشاهدين وتجعلهم جزءاً من العرض، فالمشاهدون في الأسطورة السوريلية (نسبة إلى سوريل)؛ يجب أن يتم إدراجهم داخل (الفنتازيا)، تلك (الفنتازيا) التي يستطيع المشاهدون تحديدها بسهولة، أثناء هذه العملية، سوف يتاح للفنتازيا التي تتضمن أسطورة ما لتجاوز الاعتراضات الواضحة المَبْنيَّة على أساس الاعتبارات الحقيقية القائمة في الواقع؛ لذلك فقد أصبح الإيطاليون في القرن العشرين مقتنعون بأنهم هم ورثة الإمبراطورية الرومانية؛ تماماً وبالطريقة نفسها التي يقتنع بها المشاهدون في المسرح بأن (هاملت) يخاطب شبح أبيه الراحل في الحقيقة.

من الخطأ أن لا نرى في كل ذلك أنها مجرد حيلة، وسيلة تشكيلية لخداع الجماهير، ففي جميع أيديولوجيات (الفنتازيا)؛ توجد نقطة ما تصبح عندها صناعة الاعتقاد هدفاً في نفسه.

وهذه النقطة هنا هي أنه لا يوجد شيء أكثر وضوحاً من الغزو الإيطالي لإثيوبيا، وأي محاولة للحكم على هذه المغامرة من خلال المعايير الكلاوس واتزية (نسبة إلى كلاوس واتز) سوف تبوء بالإخفاق؛ إذ لا توجد هناك أي ميزات سياسية أو اقتصادية والتي من الممكن الحصول عليها من غزو إثيوبيا، وفي الحقيقة؛ فإن هناك ردود فعل سلبية عديدة يمكن أن تواجهها إيطاليا من جراء غزوها لإثيوبيا، والتي لا يمكن العوض عنها فيما قد تطمح إيطاليا من الحصول عليه من إثيوبيا كمستعمرة.

لماذا نغزو إذن؟ الإجابة سهلة تماماً: إن إثيوبيا كومبارس، مجرد كومبارس، في مهرجان (فنتازيا) الإمبراطورية الإيطالية الجديدة، ليس أكثر من هذا، والحرب التي سيقومون بشنها ليست حرباً بالمعنى الكلاوس واتزية (نسبة إلى كلاوس واتزي)؛ أي لها مصلحة واقعية محددة؛ بمعنى أنها ليست وسيلة سياسية تم وضعها لتجتر بعدها مجموعة من النتائج المتعاقبة من إثيوبيا، أو الحصول على إثيوبيا لكي تغير من سياساتها، أو حتى الحصول على إثيوبيا لتسود، فإثيوبيا يجب أن يتم غزوها لأنها تستحق الغزو، ولكن لأن أيديولوجية (الفنتازيا) الفاشية تريد أن تغزو إيطاليا شيئاً ما، وإثيوبيا تفي بهذا الغرض.

فالغزو ليس هو الوسيلة من أجل غاية معينة كما هي الحال في الحرب الكلاوس وتزية، ولكنه غاية في نفسه أو على الأرجح؛ فإن هدفه الحقيقي كان هو دعم الفنتازيَّة الفاشيَّة الجماعية، والتي تصر على الدفع بالإيطاليين في سباق للغزو بوصفها وارثة لروما الإمبريالية.

أمريكا كـ «كومبارس»:

أن تكون «كومبارساً» في فنتازيا شخص آخر ليست تجربة ممتعة، وعلى الأخص إن كان هذا الشخص الآخر يريد أن يقتلك، ولكن ذلك كان هو دور إثيوبيا في الأيديولوجية الفنتازيَّة للفاشية الإيطالية.

وهذا هو دور الأمريكيين أيضاً الذي تم وضعهم فيه من خلال أيديولوجية (فنتازيَّة) مختلفة إلى حد ما؛ وهي الإسلام الراديكالي.

إن الهجوم المروع لأحداث ١١ سبتمبر لم يتم التخطيط له حتى يجعلنا نغير من سياستنا، ولكنه وضع من أجل الأثر الذي يحدثه للإرهابيين أنفسهم، فقد كان مشهداً مسرحيّاً استعراضيّاً.

فلم يقم تنظيم القاعدة بوضع الأهداف على أساس الحسابات العسكريَّة كما حدث في الهجوم الياباني، وعلى النقيض من ذلك، على (بيرل هاربر) مثلاً، ولكن فقط لأن هذه الأهداف تمثل رموزاً للقوة الأمريكية والمعروفة عالميّاً في الشارع العربي.

لقد كانوا مجموعة كبيرة من (الكومبارس) في العرض المَهِيب الذي بَزَغَت فيه (فنتازيا) الإسلام الراديكالي إلى الحياة بجلاء؛ حيث قامت حِفْنَة من المسلمين ـ مجموعة رجال ممن كانت نياتهم بريئة تماماً ـ كما دلت على ذلك شهادتهم في سبيل الله، بنقض الأبراج الشامخة التي شيَّدها الشيطان الأعظم، وأي دليل أكبر من هذا على أن الله يقف إلى جانب الإسلام الراديكالي، وأن نهاية زمن الشيطان الأعظم باتت وشيكة الحدوث؟

وكما كان هدف الغزو الإيطالي لإثيوبيا هو أن يثبت للإيطاليين أنفسهم أنهم كانوا غُزَاة فاتحين؛ لذا فلم يكن الهدف من أحداث ١١ سبتمبر هو إثارة الرعب في أذهان الشعب الأمريكي، ولكن أن يثبت للعرب أن النقاء الإسلامي الذي يمثله الإسلام الراديكالي يمكن أن ينتصر، فالرعب الذي يمثل لنا حقيقة مركزية، يعدُّ بالنسبة للقاعدة حدثاً جانبيّاً، وبالمثل؛ فإن ما يراه تنظيم القاعدة وأتباعه أساسيّاً في المهرجان المقدس الذي حدث في ١١ سبتمبر بصورة رئيسة؛ هو الاستشهاد البطولي لـ ١٩ مختطفاً، وهو ما يلقى تفسيراً مختلفاً تماماً بالنسبة إلينا.

فعمليات الاختطاف هذه تُعَدُّ بالنسبة إلينا طريقة عمل، وأسلوباً تكتيكياً يتم تنفيذه لخدمة هدف استراتيجي أكبر، ونمطاً كبديل مؤقت، وبديل ذي مستوى تكنولوجي متواضع.

وباختصار؛ فإن (الحرب الكلاوس واتزية) ذات مصالح محددة يجري تنفيذها بطرق مختلفة، عن طريق الانتحار في هذه الحالة.

ولكنه في (فنتازيا) أيديولوجية الإسلام الراديكالي لا يُعَدُّ الانتحار وسيلة لغاية، ولكنه غاية في نفسه، فالانتحار كما هو مشاهد في الصبغة المحرَّفة للإسلام الراديكالي؛ يتحول إلى شهادة، الشهادة بجميع صور

المجد الذي تحتويه مصحوبة بأبَّهة القوىٰ السحرية التي طالما وهبتها العادات الدينيَّة للشهادة.

وبإيجاز؛ فإنه لَمِنَ الخطأ أن نحاول قياس هذا السلوك علىٰ النموذج الذي يحمل تقسيماتنا وتوقعاتنا، وليس أدل علىٰ ذلك ولا أوضح من شريط الفيديو الذي يناقش فيه أسامة بن لادن الهجوم، فقد أوضح هذا الشريط أن الانهيار النهائي لمبنىٰ مركز التجارة العالمي لم يكن جزءاً من المخطط الإرهابي الأساسي، والذي يَفْتَرِض ظاهريّاً أن البرجين لن يفقدا تماسكهما البنائي.

علىٰ أن هذه الحقيقة قد أعطت هذا الحدث حسب قواعد أيديولوجية ـ فنتازيا القاعدة ـ قدراً أكبر من القوة، حيث إن ذلك إذ لم يكن جزءاً من الحسابات الأصلية؛ فإنه يُعَدُّ دليلاً قاطعاً علىٰ تدخل العناية الإلهية، فالـ ١٩ مختطفاً لم يقوموا بتدمير البرجين ولكن الله فعل ذلك.

أحداث ١١ سبتمبر دراما رمزية:

يرجع الكثير من إدراكاتنا الخاطئة لأهداف تنظيم القاعدة إلىٰ سبب رئيس واحد، ففي الأسابيع الأولىٰ التي أعقبت ١١ سبتمبر كان من المستحيل أن نقرر ما إذا كان تنظيم القاعدة قد تورط في استراتيجية كلاوس واتزية ذات مصلحة محددة منظمة ومحسوبة بقصد الإرهاب أم لا؛ لأنه في ذلك التوقيت لم نكن نعرف، ولم يكن بمقدورنا أن نعرف، ما هو آت بعد ذلك.

فخلال الأيام والأسابيع التي أعقبت ١١ سبتمبر؛ كان هناك شعور عالمي بأن ذلك سوف يحدث ثانية وفي أي لحظة، وأن شيئاً ما مروعاً مرعباً، شيئاً ما سوف يعيدنا للجلوس أمام شاشات التليفزيون ثانية، وفي الواقع؛ فقد بدت الجمرة الخبيثة في البداية وكأنها سوف تكون ذلك الشيء الذي تم وضعه خاصة لتحقيق ذلك الهدف، علىٰ الرغم من أنها ومع ذلك قد تضمنت شيئاً افتقد إليه حادث ١١ سبتمبر، وهو القدرة علىٰ تخويف المواطنين الذين يجلسون في هدوء في حجرات المعيشة في المدن الصغيرة في أنحاء أمريكا، وإرهاب المواطنين العوام وشعورهم بالتهديد أثناء ممارستهم لأنشطتهم اليومية المعتادة مثل قراءة البريد الإلكتروني.

ودع جانباً قضية ما إذا كان تنظيم القاعدة هو المسؤول في الحقيقة بشكل مباشر أو غير مباشر عن خطابات الجمرة الخبيثة، فقد كان أكثر الأمور الصادمة في هذه الفقرة هي الحقيقة التي أظهرت بشكل درامي أنه في حالة إذا ما قرر تنظيم القاعدة أن يقوم بحرب كلاوس واتزية ذات هدف أو مصلحة محددة ـ إرهابية ضد الولايات المتحدة ـ، حتىٰ لو كانت أحداثاً أقل بكثير في حجمها ونطاقها من أحداث ١١ سبتمبر؛ فإنه لا يزال علىٰ ثقة من أنها سوف تلقىٰ تغطية إعلاميَّة ضخمة علىٰ مدار أربع وعشرين ساعة، وطوال أيام الأسبوع. وفي الحقيقة حتىٰ إن كان هناك عميل آخر وراء هذه الأحداث المُرْعِبة؛ فإنه ما زال من العسير علينا أن نفهم مدىٰ إخفاق تنظيم القاعدة في الاستفادة من الدرس الذي تضمنته هذه الأحداث، والإعلام الأمريكي بطبيعته يقوم بتضخيم أي حدث إلىٰ (جزء من ساعة) (قصة أيسلندية قديمة زاخرة بالأعمال البطولية) مستمرة لكابوس قومي.

وفي الحقيقة، وباستثناء مشهد الجمرة الخبيثة، لم توجد أي من الأعمال التي ارتكبها تنظيم القاعدة في الشهور التي أعقبت أحداث ١١ سبتمبر، بالإضافة إلىٰ عدم وجود إمكانية أن يقوم بتكرار هجمات سبتمبر، وهذا في ذاته يُعَدُّ حقيقة ذات مغزىٰ يجدر بنا الإشارة إليها.

والأعمال الإرهابية كما وضحنا من قبل يمكن أن تستخدم للوصول إلىٰ أهداف كلاوس واتزية محددة، وتحديداً بالطريقة بنفسها التي تُستخدم بها العمليات العسكرية، كما حدث أثناء حرب الاستقلال الجزائرية، ولكن ذلك يتطلب أن يتم توظيف الأحداث الإرهابية للمنطق الاستراتيجي نفسه الذي يتم تطبيقه علىٰ العمليات العسكرية المعتادة، فإذا قمت بعمل إرهابي ضد عدوك، وخصوصاً إذا كان عملاً بحجم أحداث ١١ سبتمبر، فلا بد أنك قد قمت بالإعداد لكي تتابعه علىٰ الفور، والتماثل القديم القائم هنا بخصوص الاستراتيجية العسكرية واضح، إذا قمت بإخراج عدوك من ساحة المعركة؛ فإنه يجب عليك أن تلاحقه أثناء تراجعه إذا كان لا يزال في حالة هلع واضطراب؛ إذ يجب عليك أن تستمر في لكمه بينما لا يزال يترنح من الضربة الأولىٰ.

هذا ما أخفقت القاعدة في القيام به: والسؤال الآن: لماذا؟ بالطبع؛ وعلىٰ حد علمنا المحدود فإن تنظيم القاعدة قد قام بالتخطيط للقيام بأعمال إرهابية أخرىٰ بعد ١١ سبتمبر، ولكنه ـ بدون عناء ـ عجز عن تنفيذها، وذلك بسبب حالة التيقظ القصوىٰ التي كُنَّا عليها إثر الحادث، إلىٰ جانب مجهوداتنا العسكرية لشل تنظيم القاعدة عن طريق الهجوم علىٰ قواعده ومراكز عملياته في أفغانستان، ولكنه يصعب علينا أن نعتقد أن هذه العوامل كان في مقدورها أن تعوق أحداثاً إرهابيَّة أخرىٰ أقل في نطاقها من نوع الأحداث التي وقعت في الجزائر، وأكثر حداثة من أولئك الذين يقومون بعمليات التفجير الانتحارية في فلسطين.

ولكن ما الذي منع ناشطي القاعدة من تفجير أنفسهم (ول مارت) في (أركنساس) أو (ماكدونالدس) في (نيوهامشاير)؟

وعلىٰ الرغم من صحة أن مثل هذه الأفعال كانت ستفتقد للتأثير الكبير والضخم الذي أحدثته هجمات سبتمبر، فإنها كانت سوف تجلب الإرهاب إلىٰ داخل النطاق الأمريكي بشكل قد يفوق ما حدث في ١١ سبتمبر، كما دَلَّ علىٰ ذلك ما حدث في «الجمرة الخبيثة»؛ حيث كانت سوف تُضاعِف بشكل كبير الأثر المتضاعف بالفعل في نفسيَّة الأمريكيين حول أعمال تنظيم القاعدة الإرهابية.

وهذا هو سبب قضائي الوقت ـ مثل ملايين الأمريكيين ـ في الأسابيع الأولىٰ التي أعقبت أحداث ١١ سبتمبر إمَّا في مشاهدة التليفزيون بشكل مستمر، أو تغيير القنوات كل ١٥ دقيقة، فقد كنا متأهبين لنتلقىٰ هجوماً آخر، وكانت أعصابنا متوترة إلىٰ أبعد مدىٰ؛ إذ كنا نترقب حملة مكثفة ذات نطاق أضيق مما حدث في ١١ سبتمبر، إرهاب من نمط الغوريلا، وهجمات علىٰ المناطق النائية؛ مما يمكن أن يكون لها أثر يخل بتوازن الاقتصاد

الأمريكي، وحتىٰ علىٰ نظامنا السياسي.

بيد أن مثل هذا (الرعب الكلاوس واتزي) ذو هدف محدود، يبتعد إلىٰ حد ما عن الدراما الرمزيَّة التي قام بها تنظيم القاعدة في ١١ سبتمبر، هذا الطقس العظيم الذي تجسدت فيه مقدرة الله، وذلك المهرجان الذي لم يتم تخطيطه ليقدم رسالة إلىٰ الشعب الأمريكي ولكن إلىٰ العالم العربي، فلم تكن بوسع حملة من الأعمال الإرهابية الصغيرة أن تحدث مثل هذا السحر كما حدث فيها ـ وبقوة ـ، والتي كانت تبحث عنها القاعدة في أهدافها، فقد كان «ديفيد» الإسلامي الخالص يبحث عن «الجولياث» وبعد كل ذلك، وفي النهاية، لو حدث أن ديفيد كان قد قتل شخصاً بحجمه هو؛ فمن أين يأتي الدليل علىٰ فضل الله له؟

هل نحن في حالة حرب؟

وإذا صح هذا التفسير؛ إذن فقد حان الوقت لكي نُعيد النظر في بعض سياساتنا الأساسيَّة في الحرب علىٰ الإرهاب، وقبل كل شيء يجب أن يكون من الواضح أنه إذا كان عدونا تُحركه دوافع خالصة من أيديولوجية (الفنتازيا)؛ فمن العبث أن نبحث عمَّا يُسمىٰ بالأسباب الجِذْرِيَّة للإرهاب، والمتمثلة في الفقر، ونقص التعليم، وغياب الديمقراطية، وما إلىٰ ذلك، فمثل هذه العوامل لا تؤدي أي دور في أيديولوجية (الفنتازيا)، بل علىٰ العكس من ذلك، فعلىٰ مدار التاريخ، ظهرت الأيديولوجيات (الفنتازيَّة) علىٰ أيدي أفراد من أهل الفكر، والذين ينتمون للطبقة المتوسطة علىٰ مستوىٰ عالٍ من التعليم أعلىٰ من المتوسط العام، وأكثر من ذلك؛ فإن الاعتقاد بأن الإصلاح الديمقراطي سوف يَحِد من وجود الإسلام الراديكالي؛ يتجاهل حقيقة أن أيديولوجيات (الفنتازيَّة) السابقة قد ظهرت في سياق ديمقراطي، كما لاحظ ذلك «أرنست نوتل» الذي يقوم بدراسات حول الفاشية الأوروبية، كما كانت الديمقراطية السكانية سائدة في الظروف التي ظهر فيها كل من موسوليني وهتلر.

ولا يقل عبثاً عما سبق ـ في هذا السياق ـ الرأي الذي يقول بأننا يجب علينا أن نراجع سياساتنا تجاه العالم العربي، أو وضع إسرائيل؛ من أجل أن نجعل أعداءنا يكرهوننا أقل.

فقد حاول الإثيوبيون أن يعدلوا من أنفسهم بحيث يحبهم الإيطاليون أكثر، علىٰ أمل أن هذا سيجعل موسوليني يعيد التفكير في خططه الخاصة بالغزو، فلم يكن ليغير ذلك من تفكيره شيئاً؛ فإننا ليس لدينا توجهاً سياسيّاً نستطيع أن نتبناه من شأنه أن يغير من موقف أعدائنا، وربما يُحدث الحوار الواسع والممتد مع الإسلام الأصولي أثراً قليلاً.

والنتيجة الثانية التي عليها هذا النمط من الفَهْم بعدوّنا؛ هو أننا بحاجة إلىٰ إعادة النظر لمصطلح (الحرب) كما هو موظف حاليّاً في هذه الحالة، فعندما بدأ اليابانيون الحرب الباسيفيكي عن طريق قصف «بيرل هاربر» في ٧ ديسمبر ١٩٤١م، لم يكن ذلك لأن «بيرل هاربر» هي رمز القوة الأمريكية، بل كان ذلك لأنها كانت قاعدة بحرية ضخمة، وقد كان لليابانيين هدف استراتيجي للقضاء علىٰ الأسطول الأمريكي في المحيط الهادي في

الساعات الأولىٰ من الحرب.

وعلاوة علىٰ ذلك؛ فإن هذا الحدث ما كان ليحدث لو ظن اليابانيون أنهم قادرون علىٰ تأمين أهدافهم السياسية؛ علىٰ سبيل المثال القبول الأمريكي للهيمنة اليابانية في آسيا والمحيط الهادي.

وكانت الحرب ستتوقف علىٰ الفور إذا طلبت الولايات المتحدة، في الأيام التي أعقبت الهجوم، إجراء تسوية الصراع عن طريق المفاوضات؛ بشروط مقبولة من اليابانيين.

وفي حالة الحرب التي بدأت في «بيرل هاربر»؛ فقد كانت جميع الأطراف تعرف تماماً ماذا يدور في القضية، ولم تكن هناك حاجة لخبراء الإعلام ليدرسوا السبب «الحقيقي» وراء الهجوم، فقد كان الجميع يعرف أن الهجوم كان نتيجة قرار استراتيجي لخوض حرب مع أمريكا؛ فضلاً عن قبول الإنذار الأمريكي لإخلاء «مانشوريا»، ففي كل هذه الحالات دخل كلا الطرفين الحرب علىٰ الرغم من وجود الحل السياسي لجميع الأطراف المتوسطة في الحرب؛ لذا فقد تم اتخاذ قرار الحرب بطريقة «كلاوس واتزية» (ذات غاية محدودة) صرفة، تم اختيار توظيف القوة العسكرية وتفضيلها علىٰ التسوية السياسية غير المقبولة لدىٰ جميع الأطراف.

وقطعاً لم تكن هذه هي الحالة القائمة بعد أحداث ١١ سبتمبر، ولم تكن القضية التي تواجه الولايات المتحدة هي ما إذا كانت ستقبل المطالب السياسية لتنظيم القاعدة أم سترفض، وهي مطالب غامضة في حد ذاتها إلىٰ أقصىٰ مدىٰ.

وفي الواقع؛ لم تعترف جماعة تنظيم القاعدة بالقيام بالهجوم في البداية، فكانت الولايات المتحدة وحلفاؤها في موقف شاذ؛ إذ كان عليهم بداية أن يقوموا بإثبات من هو عدوهم ـ وهي الصعوبة ـ من الناحية النظرية ـ التي لا توجد في الحرب الكلاوس واتزية (ذات المصالح المحددة)؛ إذ يكون من الضروري بها أن يتم تحديد الأطراف المتصارعة، ومعرفة كل منهم بالآخر، وإلا فسيكون الصراع عديم المعنىٰ.

وحقيقة أننا متورطون مع عدو لا يباشر حرباً كلاوس واتزية (ذات مصالح استراتيجية محددة)، كان لها آثار عميقة علىٰ سياساتنا، حيث إننا نحارب عدواً ليس له أي هدف استراتيجي في شيء مما يفعله، عدواً ليس لأعماله التي يقوم بها أي معنىٰ إلا من خلال معايير أيديولوجية (الفنتازيا) الخاصة به.

وهذا يعني ـ وبشكل غريب ـ أننا عندما نكون في حرب معه لا يكون في حرب معنا، وسيكون الفرق كبيراً في الواقع لو كان فعل.

فإذا كانوا في حرب معنا؛ فإنهم سيكونون مجبورين علىٰ التفكير بصورة واقعية؛ من ناحية العوامل الموضوعية كالأهداف الاستراتيجية الكلية، أهداف الحروب وما إلىٰ ذلك. ولكان لزاماً عليهم أن يقوموا بتقييم واقعي وليس من نتاج (الفنتازيا) لقوتنا النسبية في مقابلهم.

ولكن نظراً لأنهم ينطلقون من منطلق أيديولوجيتهم الفنتازية؛ فإن مثل هذا التقييم الموضوعي يُعَدُّ مستحيلاً بالنسبة إليهم، فلا يعني شيئاً لهم مدىٰ تفوقنا عليهم في القوة، ولكن الذي يعنيهم أن الله سوف يكتب لهم النصر.

ويجب علينا التأكيد ها هنا أنه وإن كانت أيديولوجية الفنتازيا للفاشية الإيطالية صورة من صور التظاهر السياسي؛ فإن أيديولوجية (فنتازيا الإسلام الراديكالي) تزيد عنها خطوة أخرىٰ، فهي - بمفهوم ما - أقرب إلىٰ نمط التفكير السحري.

وبينما تهدف الأسطورة السوريلية - نسبة إلىٰ المفكر (سوريل) - في النهاية إلىٰ تشكيل العالم الواقعي؛ فإن الأمر يبدو كما لو كان العالم «الواقعي» لم يعد يمثل أهمية بالنسبة لمعايير الأيديولوجية (الفنتازية) للإسلام الراديكالي.

فعالمنا الواقعي في آخر المطاف علماني بشكل قاطع، سلسلة غير منتهية من علاقات السبب والنتيجة، في جميع الوقائع التي تجري في أي مستوىٰ وجودي منفصل.

بيد أن العالم الواقعي للإسلام الراديكالي مختلف؛ حيث تعكس أيديولوجيته الفنتازية المصادفة الفلسفية نفسها التي تسود العقيدة الإسلامية؛ بمعنىٰ أن الحدث (B) لا يقع كنتيجة للحدث (A) السابق له، ولكن بدلاً من ذلك، الحدث (A) ؛ هو المناسبة التي أحدث فيها الله الحدث (B)؛ لذا فإن السبب الحقيقي لجميع الأحداث التي تقع في عالمنا الوجودي هو الله وليس سواه.

ولكن إذا كان الأمر هكذا ؛ فإن العالم «الواقعي» الذي نُسَلِّم به يتلاشىٰ بسهولة، ويصبح كل شيء محدد من قِبلَ إرادة الله، وبهذه الطريقة يذوب الخط الفاصل بين التفكير الواقعي والتفكير السحري؛ لذا فإن حقيقة أن تنظيم القاعدة ليس له أي هدف واقعي من تدمير الولايات المتحدة - وفي الواقع الغرب بأسره - تبدو واضحة فوق كل هذا، وإذا أراد الله تدمير الولايات المتحدة والغرب فإن ذلك سوف يحدث.

وأن هذا العامل من التفكير السحري لا يقلل مطلقاً من خطورة تنظيم القاعدة علىٰ الرغم من كل ذلك؛ إذ ربما توجد في الفنتازية الكلية أي إشارة لحدث إرهابي حاسم، رصاصة سحرية قادرة علىٰ تدمير الولايات المتحدة بضربة واحدة، وعلىٰ النقيض؛ فإنه لا يوجد شيء أقرب إلىٰ القيام بهذا الدور السحري أكثر من النصيحة للقيام بانفجار نووي غير سحري، وحقيقة أن هذا لن يؤدي إلىٰ تدمير مجتمعنا بضربة واحدة واضحة بالنسبة إلينا ولكنها ليست كذلك بالنسبة إلىٰ أعدائنا؛ إذ ترىٰ أعينهم حَدَثاً مثل هذا تأكيداً علىٰ مدلول (الفنتازيا) الخاصة بهم، بالإضافة إلىٰ حقيقتها المرعبة الكافية بذاتها، ومدلول (الفنتازيا) الذي يمنح تنظيم القاعدة رؤية لنصر حاسم وقاطع علىٰ الغرب.

محاربة وباء أيديولوجي :

عقب كارثة ١١ سبتمبر مباشرة؛ عبَّر الرئيس بوش بشكل مستمر عن تنظيم القاعدة بوصفهم «أشراراً» وليس بوصفهم «إرهابيين»، والذي سخر من خلاله من الذين اعتبروهم ساذجين وطفوليين إلىٰ حد بعيد، ومصطلح «الأشرار» مأخوذ من قصص الأساطير، ويشير إلىٰ شخصيات موجودة في الخيال وليس في عالم الواقع، والذين يتم وضعهم فعلاً بقصد الشر المُتَعَمَّد، إضافة إلىٰ الأقزام والجبابرة الذين تحفل بهم القصص الخياليَّة في طفولتنا.

وناقدو بوش ـ والذي يبدون لسوء الحظ أنهم قد انتصروا في المعركة الدلالية ـ كانوا محقين من ناحية، وجانبهم الصواب من ناحية أخرىٰ، فقد كانوا محقين في ملاحظتهم أصل جملة «الأشرار»، ولكنهم كانوا مخطئين في انتقادهم بوش بسبب استخدامها. فقد أصاب بوش ـ سواء بالسليقة أو بإعمال الفكر ـ (بيت القصيد) وأطلق الملاحظة الصحيحة؛ حيث إن الشرير في الحكاية الخيالية في المقام الأول؛ ليس دافع سلوكه هو رغبته في تغيير سلوك الآخرين، فليست أهدافه التي يسعىٰ إليها هو إقناع الآخرين أو تملقهم أو تهديدهم ليفعلوا ما يريده منهم، ولكنه ـ بدلاً من ذلك ـ ينظر إلىٰ الآخرين علىٰ أنهم يمثلون فرصة لعمل البشر، فهو لا يريد أن يُسَخِّرهم من أجل أهدافهم الذاتيَّة، فلا يريد سوىٰ أن يُنْزِل بهم الشر، ولا شيء غير الشر.

فبدلاً من أن يفسر أحداث ١١ سبتمبر كما لو كانت (حرباً كلاوس واتزية) ذات أهداف استراتيجية محددة؛ فقد اهتدىٰ بوش بسليقته لينظر إليها بوصفها نتاج (فنتازيا) تثير الجنون.

فعندما واجه لغز ١١ سبتمبر؛ كان بوش قادراً علىٰ تجنب إغراء محاولة تفسيرها علىٰ أساس مفهوماتنا وأفكارنا، فبدلاً من النظر إلىٰ الموضوع علىٰ أنه محض أسطورة دفعت للقيام به، أو اعتباره حدثاً سياسياً غائياً ـ ذا غاية محددة ـ حسب النموذج الكلاوسي واتزي (بمعنىٰ أن يهدف لأبعاد استراتيجية محددة)؛ فقد توغل في طبيعته الأصلية من خلال إحدىٰ الاستعارات المعبرة بقوة، فهو يقدم من ناحية نوعاً من الفنتازيا المضادة للشعب الأمريكي، وهي التي سمحت لهم بتفهم الرعب الذي أحدثته هجمات ١١ سبتمبر؛ دون أن تضللهم النماذج المناظرة لهذه الأحداث، أو التعابير المجازية الجاهزة.

فكم كانت ستكون حكمة «مونتيزوما» لو كان قال: «إنني لا أعرف مَنْ هم هؤلاء الغرباء ذوي البشرة البيضاء، أو من أين جاؤوا، أو ماذا يريدون؟ ولكنهم هنا ليرتكبوا أعمالاً شريرة؛ لذا فدعونا نتدبر أمرنا بحكمة ونفعل ما ينبغي علينا القيام به».

والذين انتقدوا بوش رأوا أن مصطلح «الأشرار» يُجَرِّد أعداءنا من إنسانيتهم، ونحن نكرر ثانية: أن الناقدين كانوا مصيبين في ناحية، ومخطئين في ناحية أخرىٰ.

حقاً إن المصطلح يجرد أعداءنا من إنسانيتهم، ولكن ذلك فقط بسبب أن عدونا هو الذي جرد نفسه من

الإنسانية، فثمة سمة مميزة للأيديولوجيا الفنتازية؛ هو أن أولئك الذين يناضلون من أجلها يبدؤون بتجريد أعدائهم من إنسانيتهم؛ من خلال النظر إليهم على أنهم مجرد أدوات للعمل من خلالها، فمن المستحيل أن تعامل الآخرين بهذه الطريقة بدون أن تتجرد الإنسانية، فمن ضمن متطلبات أيديولوجية الفنتازيا هي تحويل جميع الأطراف إلى مجرد رموز.

وما لا يمكن تفاديه هو أن ضحايا أيديولوجية الفنتازيا؛ تتضمن كلاً من الذين يدبرون الفنتازيا، الذين تنفذ عليهم هذه الفنتازيا في مركز التجارة العالمي والذين تسببوا في موتهم، وفي النهاية الذين بكوا على الموتى، والذين فرحوا بالشهداء.

وليس لدينا حيلة نافعة مع الذين نطلق عليهم مجازيّاً «الأشرار»؛ إذ الأمر هكذا، الصراع مع الأشرار، ليس حرباً كلاوس واتزية (استراتيجية)، فأنت لا تعقد معاهدات مع الأشرار، أو تحاول أن تعدل من سلوكهم لتجعلهم مثلك، أنت لا تحاول أن ترى العالم من وجهة نظرهم، ولا تحاول أن تسترضيهم، أو تحاول إقناعهم، أو تتحاور معهم بالحكمة والمنطق، بل على العكس؛ تحاول أن تفوقهم حكمة، وأن تطردهم، وأن تقتلهم، فأنت تتعامل معهم بالطريقة نفسها التي تتعامل بها مع طاعون خطر، فأنت تحاول أن تقضي عليه وتجتثه من جذوره.

لذا؛ فربما حان الوقت للتخلي عن «استعارة» الحرب، ونقوم بشيء أكثر جدوى وهو: (الكفاح للقضاء على المرضى).

فأيديولوجيات الفنتازيا في القرن العشرين تنتشر في المقام الأول مثل الفيروس في الشعوب سريعة التأثر بها، وانتشارها لا يتم بالطريقة التي اقترحها «جون ستيوارت مل» في أفكاره التي عبّر عنها في هذا الصدد، فلم تكن أيديولوجيات الفنتازيا تناقش أو تدرس، أو يتم قياسها أو تقييمها أو مقارنتها بغيرها، فهي تنمو وتنتشر مثل السرطان في الكيان السياسي، ويقبلها الأفراد الذين يتعاملون معها مطلقة، ولا يمكن استبدالها في النهاية، وبعد أن يقوموا بتجاهل جميع الأفكار، والأيديولوجيات المنافسة؛ يقومون بتحويل نظام مضيفهم إلى أداة تتحكم فيها إرادتهم السامة والمدمرة.

والشيء نفسه يحدث الآن، وهذا هو عدونا الحقيقي، فسموم أيديولوجية (فنتازيا الإسلام الراديكالي) تنتشر في جميع أنحاء العالم الإسلامي؛ عن طريق المدارس والإعلام، ومن خلال المساجد، ومن خلال الديماجوجية (الدهمائية) في الشارع العربي.

وفي الواقع ليست ثمة طريقة ندرك بها مدى الخطر الفادح لهذا السم؛ كأن نستمع إلى أم فلسطينية تنذر ولدها الذي يبلغ من العمر ٤ سنوات لكي يكون ضحية أخرى لهذه الفنتازيا المروعة.

وبمجرد أن ندرك هذا؛ نجد أن كثيراً من التناقضات قد أصبحت واضحة من تلقاء نفسها، والقضايا المزيفة من

قبل الجدل حول شرعية (الاستبيانات العرفية) (Racial Profiling) ستختفي، فهل يعترض أي شخص صحيح العقل على فحص أي شخص يدخل بلاده للتأكد من خلوه من أعراض الطاعون، أو على احتجاز من يحملون هذا المرض؟ أو مراقبة تلك الشعوب التي تعيش داخل بلاده عن قرب والتي تمثل خطراً عليها؟

ودعونا نتخلص من الشك في هذه الحقيقة، وهي أن أيديولوجيات الفنتازيا في القرن العشرين كانت أوبئة، وتسببت في قتل الملايين والملايين من الأبرياء من الرجال والنساء والأطفال، والفارق الوحيد هو أن الضحايا والأهداف في هذه الأيديولوجيات الفنتازيا يرفضون دوماً النظر إلى هذه الأيديولوجيات (الفنتازية) على حقيقتها، ويفسرونها على أنها شيء مختلف إلى حدٍّ ما كسياسات معتادة، كأطماع عقلانية، وكمجرد تشعبات لهدف سياسي معروف، ولا تختلف طريقتهم هذه في مأساويتها عن «مونتيزوما» ـ عندما حاول فك رموز اللغز العجيب الذي طرحه ظهور الغزاة ـ إلى حد بعيد في أن تخفف من بشاعة المصير الذي آل إليه.

ملاحظات مهمة:

١ ـ العنوان الحالي يمكن ترجمته إلى:

(أيديولوجية الوهم في تنظيم القاعدة) أو (أيديولوجية الفنتازيا لتنظيم القاعدة)؛ إذ تعني كلمة: fantasy (فنتازيا): الوهم أو الخيال.

٢ ـ كلمة: clausewitzio تعني وجود أهداف سياسية أو استراتيجيَّة محددة في أي حرب أو عمل تخريبي، وقد جرى تفسيرها بهذا المعنى في جميع السياقات التي وردت بها في المقال.